العنوان: الحضور المرابطي في السودان الغربي بعد فتح غانة بين المصادر المكتوبة والرواية الشفوية

المصدر: أعمال الندوة العلمية: العلاقات المغربية الإفريقية: حصيلة وآفاق

المؤلف الرئيسي: بلحسين، سعاد

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2012

الناشر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق

مكان انعقاد المؤتمر: الدار البيضاء

الهيئة المسؤولة: جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق - مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا

الصفحات: 63 - 71

رقم MD: 906134

نوع المحتوى: بحوث المؤتمرات

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: الدولة المرابطية، السودان الغربي

رابط: http://search.mandumah.com/Record/906134

الحضور المرابطي في السودان الغربي بعد فتح غانة بين المصادر المكتوبة والرواية الشفوية

سعاد بلحسين
كلية الآداب - بني ملال

مقدمة:

تعتبر فترة حكم المرابطين من أهم الفترات التي عرفها الغرب الإسلامي في العصر الوسيط . فعلى المستوى الديني نجح المرابطون مع منتصف القرن 11م/5هـ، في إحياء المذهب السني المالكي وأن يجمعوا تحت تياره كل المنطقة الممتدة من نهر السينغال جنوبا حتى الأندلس شمالا. واستطاعوا كذلك أن يدخلوا الإسلام ولأول مرة بطريقة رسمية ، تعتمد على الجهاد، إلى إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الأمر الذي نتج عنه تأثير كبير على الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية للمنطقة .كما كان للحركة التوسعية المرابطية أثر في تطوير الحركة الاقتصادية في الغرب الإسلامي . إذ ربطت ، وفي ظرف وجيز ، أسواق بلاد السودان الغربي بأسواق البحر الأبيض المتوسط مما أدى إلى تنشيط وتوسيع التجارة العابرة للصحراء .

و نشير في البداية إلى أنه بقدر ما هي مهمة عملية البحث في تاريخ العلاقات العابرة للصحراء بصفة عامة، والعلاقات التي كانت تربط ما بين المغرب وبين بلدان إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، بقدر ما هي صعبة في نفس الوقت . فإذا كانت حركة المرابطين على الواجهة الشمالية (المغرب والأندلس) قد حظيت باهتمام الباحثين، فإن ذلك يعزى إلى وفرة المادة التاريخية المعاصرة للفترة أو القريبة منها ، والتي تتناول تاريخ هذه المرحلة من بدايتها إلى نهايتها بشيء من التفصيل . على العكس من ذلك فإن تاريخ المرابطين جنوب الصحراء لم يحظ بنفس الأهمية، ويعود هذا التقصير إلى ندرة الإشارات الواردة في المؤلفات التاريخية الإسلامية والتي لا تسمح بتتبع تاريخ المرابطين في الواجهة الجنوبية من الصحراء بشيء من التفصيل ، هذا من جهة . من جهة أخرى فإنه بالرغم من اهتمام الروايات الإفريقية وخاصة الموريطانية والسينغالية برصد دور المرابطين في منطقة إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، فإن استخدامها في البحث لا يزال يشكل صعوبة ويحتاج إلى التنقيح وذلك لتداخل المعلومات التاريخية والأسطورة في هذه الروايات، يضاف إلى ذلك أن التركيب العام للروايات الإفريقية لازال يتطلب مجهودا كبيرا من حيث جمع وطبع المذكرات التي مازالت لم تحص بعد، حتى يسهل استعمالها من طرف الباحثين في التاريخ الإفريقي والذين أصبحوا يهتمون، وبشيء من الجدية، بالمعلومات المحفوظة في الذاكرات الجماعية الإفريقية لأنها الوسيلة الرئيسية التي تسمح بإعادة بناء نسبي للماضي الإفريقي. إن الغموض الذي يحيط بتاريخ المرابطين في منطقة إفريقيا جنوب

الصحراء هو الذي دفعنا لتناول جانب من جوانب هذه الحقبة . هدفنا من هذه المحاولة ليس هو إيجاد إجابة قطعية لكل الأحداث التي صاحبت الحضور المرابطي في المنطقة، بقدر ما نسعى من خلاله إلى فتح باب الفرضيات التي يمكن أن تعطي بعدا آخر لتاريخ المنطقة. ونشير هنا أنه من بين الفترات الغامضة في تاريخ المرابطين ببلاد السودان الغربي والتي سنحاول التركيز عليها، الفترة التي تلت فتح غانة من طرف الأمير أبو بكر بن عمر سنة 1076م. وقسمناها إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : تمتد من فتح غانة سنة 1076م إلى وفاة أبي بكر بن عمر سنة 1087 م.

المرحلة الثانية : تتعلق بالحضور المرابطي في منطقة السودان الغربي بعد وفاة ابي بكر بن عمر.

وسنحاول ملامسة هاتين المرحلتين من خلال استغلال الإشارات القليلة الواردة في المصادر المكتوبة وفي الروايات الإفريقية، بالرغم مما تطرحه من صعوبات أمام الدارس الذي يحاول استغلال وتنظيم المادة التاريخية الواردة فيها بشكل جيد.

ونشير في نهاية هذا التقديم أن اعتمادنا على المصادر المكتوبة والروايات الشفوية لا يقلل من أهمية الأركيولوجيا ومساهمتها في الدراسات الإفريقية بشكل عام. فكثير من الأدوات المادية التي تم العثور عليها في العديد من المواقع الأثرية بإفريقيا الغربية مكنت من مراجعة أو إتمام بعض المعلومات الخاصة بتاريخ المنطقة، إلا أن الأركيولوجيا لا تسعفنا كثيرا عندما نكون بصدد البحث عن الحضور المرابطي ببلاد السودان الغربي ، خاصة في الفترة التي تلت فتح غانة من قبل أبي بكر بن عمر.

- **المرحلة الأولى : من 1076 إلى 1087م**

بعد فتح غانة من قبل المرابطين سنة 1076، ستستأنف الحملات الجهادية المرابطية على بلاد السودان الغربي وذلك باتخاذها شكلين:

من جهة سيشارك المرابطون في هذه الحملات الجهادية بطريقة غير مباشرة، فبعد تدخلهم العسكري في غانة حدث هناك نوع من التحالف ما بين المرابطين وأهل غانة. وفي هذا السياق يمكن أن نتحدث عن المساهمة السودانية في الحركة الجهادية المرابطية. وهذا ما يستشف من إشارة واردة عند ابن خلدون يستفاد منها أن الملثمين كانوا يحاربون جيرانهم السودانيين وبعد إخضاعهم كونوا معهم الإمبراطورية المرابطية. (1)

فملوك غانة لم يفقدوا إذن سيطرتهم الكلية على مملكتهم بعد انهزامهم أمام المرابطين ، فقد كان اعتناقهم الإسلام كافيا لاحتفاظهم بالتسيير المباشر لمملكتهم شريطة إعلان الولاء للمرابطين ، هذا الولاء تلاه مساهمة أهل غانة في عملية الجهاد تحت لواء المرابطين. فقد حاولت المملكة السوننكية حمل الإسلام السني إلى بعض الممالك المجاورة. فعلى الواجهة الشرقية لمملكتهم سيعملون على نشر الإسلام السني في اتجاه مملكة غاو وبعض المدن المجاورة لها.(2) وهذا ما سينتج من إشارة الزهري

التي تتحدث عن الحملات التي قادها أهل غانا نحو مدينة تادمكة من أجل حمل أهلها على الإسلام"... بعد أن جرت بينهم حروب وفتن كثيرة. واستعان عليهم أهل غانة بالمرابطين".[3] وحينما يتحدث الزهري عن نشر أهل غانا للإسلام بتادمكة، فإنه يتحدث عن نشر الإسلام السني وليس عن إسلام تادمكة لأول مرة. ذلك أن ظهور الإسلام في هذه المدينة يرجع إلى القرن التاسع الميلادي على إثر المجهودات التي قام التجار المسلمون وخاصة الذين كانوا على المذهب الخارجي.[4] وما يستفاد من إشارة الزهري هو أن المرابطين إذن كانوا في المعارك السودانية يقومون بدور المراقب عن بعد ولا يتدخلون مباشرة إلا عند الضرورة. وإلى جانب الدور الذي لعبته غانة في عملية نشر الإسلام بالمنطقة في ظل حركة الجهاد التي تزعمها المرابطون، لا ننسى الدور الريادي الذي كانت تقوم به مملكة التكرور الإسلامية. فهذه الدولة أخذت على عاتقها عملية تثبيت الإسلام في منطقة السينغال، وذلك منذ أن أصبح فيها الدين الإسلامي دينا رسميا في البلاد، بحيث عملت على نشره بين بعض المدن المحيطة بها قبل ظهور الحركة المرابطية.[5] وعند انطلاق هذه الأخيرة سيجد المرابطون في مملكة التكرور السند والحليف الذي عزز وضعهم الديني والسياسي في المنطقة.[6]

ومن جهة أخرى وإلى جانب مساهمة بعض الممالك السودانية في عملية نشر الإسلام بالمنطقة ، سيقود المرابطون بشكل مباشر مجموعة من الحملات ما بين الصحراء وبلاد السودان الغربي. و هذا ما نلمسه في بعض الإشارات المصدرية المكتوبة أو في بعض الروايات الشفوية، و التي تجمع كلها على إبراز الدور القيادي الذي يقوم به الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر اللمتوني في هذه العمليات الجهادية. فابن أبي زرع يشير أن هذا الأمير وبعد فتحه لغانة سيواصل جهاده بالمنطقة، وأن سلطته أصبحت تمتد على مسافة ثلاثة اشهر من الصحراء إلى جبل الذهب ببلاد السودان.[7] ونجد في بعض الروايات الإفريقية الشفوية تركيزا على التاريخ الديني الذي يهتم بالدفاع عن الدين الإسلامي ومن خلاله التركيز على الدور الذي لعبه بعض الأبطال في عملية نشر الدين الإسلامي بالمنطقة. وفي هذا السياق نجد أن هذه الروايات تتفق جميعا على إبراز الدور الديني والجهادي الذي لعبه الأمير أبو بكر بن عمر في بلاد السودان الغربي. غير أن هذه الروايات تقع في خلط تاريخي بخصوص هذا الشأن. فهي لا تتحدث عن عودة الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء، وطنه الأصلي، للحد من ثورات كدالة أولا ثم مواصلة الجهاد ضد الوثنيين فيما بعد، بل تقدمه كأمير أتى من الشمال ليعلن الجهاد ضد الوثنيين بالسودان الغربي.[8] فالروايات الموريطانية الواردة عند الشيخ سيديا تتبع الحملات التي قام بها الأمير المرابطي انطلاقا من منطقة الأدرار بموريطانيا. وتتحدث عن فتحه لمدينة تسمى "مدينة الكلاب" وتقول الروايات أنها سميت بهذا الاسم لأن سكانها الذين كانوا يسمون بالبافور Bafour[9] كانوا يستعملون الكلاب الشرسة لحماية المدينة. وعندما تتحدث هذه الروايات عن " مدينة الكلاب " فإنها تقصد بها مدينة أزوكي، التي نجد لها تحديدا

جغرافيا عند كل من الزهري والإدريسي، وابن سعيد الغرناطي بحيث يجعلونها داخل بلاد لمتونة. [10] كما نجد إشارة تاريخية بخصوص هذه المدينة واردة عند البكري تقول بأنه في جبل لمتونة يوجد حض يسمى أركي وأنه بني من طرف المرابطين. [11]
غير أنه ليس من السهل التسليم بهذه الإشارة الواردة عند البكري والتي تربط بناء أزوكي بالمرابطين، خاصة إذا ما قورنت مع نتائج التحريات الأركيولوجية التي أجريت ما بين 1980و1981 في موقع أزوكي بمنطقة الأدرار. فحسب نتائج الحفريات كانت عملية الاستيطان في هذه المدينة تعود إلى فترة ما قبل المرابطين، حيث سمحت البنايات الحجرية والبقايا المعدنية بإعطاء تأريخ يرجع إلى القرن 10 وبداية 11 الميلاديين. لكن هذه التحريات أثبتت أيضا أن هذه المدينة ستعرف توسعا وتطورا عمرانيا في الفترة المرابطية. [12] وهكذا فإن أزوكي كانت متواجدة قبل المرابطين لكنها ستتطور معهم وستصبح بمثابة حصن عسكري وقاعدة أمامية لتقدم المرابطين في بلاد السودان الغربي . هذا الدور الجديد الذي صارت تلعبه أزوكي هو الذي جعل الروايات تركز عليها عندما تتحدث عن الحملات الجهادية المرابطية في المنطقة.

الروايات الموريطانية تتحدث أيضا عن استئناف أبي بكر بن عمر لعملية الجهاد في اتجاه بلاد السودان الغربي. وتشير إلى أنه استطاع طرد السودانيين الوثنيين خارج منطقة الأدرار في اتجاه نهر السينغال، بل أن بعض العناصر السودانية الوثنية اجتازت النهر إلى الضفة الأخرى.[13] أما بخصوص وفاة ابي بكر بن عمر، فابن أبي زرع يقول بأنه توفي في إحدى حروبه الجهادية ضد القبائل الوثنية السودانية على إثر إصابته بسهم مسموم. [14] ونجد لهذه الإشارة تأكيدا في الروايات الموريطانية التي تضيف إلى أن هذا الأمير وبعد إصابته بجرح بليغ على يد أحد السودانيين الوثنيين رجع ليموت بتكانتTagant[15]. كما تتحدث روايات الولوف wolof عن نفس الحدث إذ تشير بدورها إلى إصابة أبي بكر في منطقة السينغال على يد أحد Sérère وعاد بعد ذلك وتوفى بشنقيط.[16]

وسيقف المتصفح للمصادر العربية وللروايات الإفريقية، التي تحاول رصد الدور الجهادي للمرابطين ببلاد السودان في تلك الفترة، إلى الحضور القوي لشخصية كانت لها مكانتها الدينية والعلمية في الغرب الإسلامي آنذاك، وهي شخصية الإمام أبو بكر محمد ابن الحسن المرادي أبي الحضرمي الذي سيلازم الأمير أبو بكر بن عمر إبان حروبه بالسودان الغربي. فالتادلي في كتابه التشوف إلى رجال التصوف، يورد إشارة مفادها أن الأمير أبو بكر بن عمر عندما كان عائدا بصفة نهائية إلى الجنوب ليهتم بأمر الصحراء والسودان، تاركا أمر الشمال إلى يوسف بن تاشفين، التقى في أغمات بأحد كبار العلماء المسلمين وهو الإمام المرادي الحضرمي الذي كان يتمتع بكفاءة جد واسعة في العلوم الدينية والشرعية، وطلب منه الأمير أن يرافقه إلى بلاد السودان ثم سلمه أمر القضاء في مدينة أزوكي. ونجد نفس الإشارة واردة في كتاب الصلة لابن

بشكوال استنادا على شهادة القاضي عياض، مفادها أن الإمام الحضرمي كان يشغل منصب القضاء في أزوكي إلى وفاته سنة 489هـ/96-1095م. [17]

وتتحدث الروايات الموريطانية أيضا عن دور الحضرمي في الحملات الجهادية المرابطية انطلاقا من الصحراء في اتجاه بلاد السودان ، بحيث تشير إلى أن هذا الإمام جاء إلى الجنوب بصحبة الأمير المرابطي من أجل حمل الإسلام إلى بلاد السودان ، وتتفق عموما لتظهر الدور البطولي الذي كان يتميز به الحضرمي عندما كان يشارك في هذه المعارك. وتشير هذه الروايات إلى أن المرابطين استطاعوا إخضاع سكان أزوكي بفضل القدرات الخارقة التي كان يتمتع بها هذا الإمام ، الذي تمكن من القضاء على شراسة الكلاب التي كانت تحرس هذه المدينة. وتضيف أن الحضرمي قتل في هذه المواجهة بنفس الطريقة التي قتل بها أبو بكر بن عمر. ودفن بالمنطقة حيث اصبح قبره قبلة للناس من أجل التبرك.[18] وبالرغم من هذا الاتفاق الحاصل بين المصادر المكتوبة والروايات الشفوية بخصوص الحملات الجهادية للمرابطين انطلاقا من الصحراء في اتجاه بلاد السودان الغربي ، فإن قراءتها ومحاولة استنباط أحداث تاريخية متسلسلة منها يطرح مجموعة من التساؤلات منها ما هو متعلق بمعرفة مفصلة لكل المجهودات التي قام بها الأمير أبو بكر بن عمر من أجل الإسلام السني بهذه المنطقة والتي أرادها أن تكون جزءا لا يتجزأ من دار الإسلام. ومنها ما يتعلق بمكان وتاريخ وفاته اللذان تختلفان فيهما المصادر اختلافا كبيرا. وبخصوص هذه النقطة الأخيرة نجد تباينا واضحا في المصادر العربية حول تاريخ وفاة الأمير أبي بكر . وتلك ملاحظة عامة نجدها في جل المصادر التي أرخت لدولة المرابطين ، فإذا كنا نجد في هذه المصادر إجماع حول الأحداث الكبرى التي ميزت هذه الدولة كبناء مراكش ، ومعركة الزلاقة وفتح غانة ... فإن التأريخ الدقيق لكل حدث يختلف من مصدر إلى آخر . فابن عذاري مثلا يقدم 1076 كسنة لوفاة أبي بكر ، وابن الأثير يذكر أن وفاته كانت سنة 70-1069. ونعتقد أن سنة وفاة أبي بكر، وكما ذهب إلى ذلك M. Farias،[19] هي التي قدمت من طرف ابن أبي زرع والتي حددها بسنة 480 هـ/ 1087م . فعندما نرجع إلى العملة المرابطية المسكوكة في سجلماسة نلاحظ أنها كانت تضرب باسم أبي بكر بن عمر حتى سنة 480/88-1087.[20] وهذا يدل على أهمية الواجهة الصحراوية السودانية في تاريخ الدولة المرابطية، فبالرغم من الإنجازات التي حققها يوسف بن تاشفين في شمال المغرب والأندلس فإن اسمه لم يظهر على العملة المرابطية إلا بعد وفاة أبي بكر بن عمر. ونجد هذا الاختلاف المتعلق بسنة وفاة أبي بكر مطروحا أيضا في الروايات الشفوية، فعندما تتحدث عن ظروف وفاته تخلط ما بين تاريخ وفاته وتاريخ وفاة الإمام الحضرمي . وبينما تتحدث عن استشهاد هذا الأخير في معركة "أزوكي" تجعل الأمير المرابطي يستمر في معاركه ضد السودانيين الوثنيين حتى استشهد بدوره فيما بعد. ولكن إذا عدنا إلى سيرة الحضرمي الواردة عند ابن بشكوال نجد فيها أن هذا الإمام لم

يستشهد في المعركة التي خاضها المرابطون ضد سكان مدينة "أزوكي"، كما تذهب إلى ذلك الروايات الموريطانية ، بل أنه سيشغل منصب القضاء في هذه المدينة وأن وفاته لم تكن إلا في سنة 96-1095. وبالتالي فإن الحضرمي ظل يمارس في المنطقة سلطة قضائية وتأثيرا دينيا في ظل السلطة المرابطية وذلك بتسع سنوات بعد وفاة الأمير أبي بكر بن عمر. يرجع وربما هذا الخلط الوارد في الروايات بين شخصية أبي بكر ابن عمر وبين شخصية الحضرمي، إلى المكانة الكبرى التي كانا يحتلانها في المنطقة الشيء الذي جعل الرواة يتحدثون عن أعمالهما بنوع من التبجيل والإعجاب لدرجة المزج بين سيرتيهما، خاصة وأنهما حملا معا اسم أبو بكر.[21] وبالرغم من هذا الخلط الوارد في الروايات بين الشخصيتين فإن ما يثير الانتباه كما يذهب إلى ذلك J.L. Triaud هو أن الفقهاء أمثال الحضرمي كانوا ملازمين للجيوش المرابطية يقدمون لهم المساعدة والإرشاد ويعملون على تثبيت دعائم الإسلام في المنطقة.[22]

وفي هذا السياق فإن مؤلف الحضرمي" الإشارة إلى أدب الإمارة" يركز فيه صاحبه على السلوك الذي يجب أن يتبعه الأمراء وجنودهم إبان الجهاد . كما نجد فيه أبوابا تتعلق بالحرب والمسالمة وبالحيلة والخدعة.[23] فإذن لا غرابة أن يكون للحضرمي مكانة جد بارزة في الأوساط المسلمة في السودان الغربي وأن تتداول الروايات المحلية أخباره وإنجازاته البطولية وأن يستمر قبره محجا لسكان المنطقة من أجل التبرك بعد مماته. وبما أن الحضرمي كان يتمتع بكفاءة جد واسعة في العلوم الدينية والقضائية في الشمال وكان يقوم بتدريسها في بلاد المغرب والأندلس، كما يؤكد ذلك ابن بشكوال، فإنه سيلعب نفس الدور في هذا الجزء من إفريقيا الغربية. يضاف إلى ذلك أن الحضرمي لم يكن يعتمد على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية عن طريق الدعوة الشفوية فقط بل إن قدرته على التأليف في هذا الشأن ساعده على نشر فكره العلمي الديني و الأدبي في هذه المنطقة مما سيساعد على عملية نشر الثقافة واللغة العربية بها.[24]

- المرحلة الثانية : بعد وفاة أبي بكر

بعد وفاة أبي بكر بن عمر لم تعد المصادر تتحدث عن الحضور المرابطي بمنطقة السودان الغربي، وهذا لا يعني أن الحضور قد توقف عند هذا التاريخ، فبفضل ما احتفظ به في الذاكرة الجماعية الإفريقية نستطيع الحديث عن استمرارية التواجد المرابطي في المنطقة بعد هذه الفترة. فعندما نقرأ الروايات الموريطانية الواردة عن الشيخ محمد مبارك اللمتوني، والتي يقدمها على شكل قصائد يتحدث من خلال أبياتها عن التسلسل الجنيالوجي للأسرة المرابطية التي حكمت في المنطقة، نجد فيها تأكيدا على أن الحكم المرابطي في بلاد السودان لم ينته مباشرة بعد وفاة ابي بكر سنة 1087م، بل سيستمر حوالي 200 عام. وسيتعاقب عليه سبعة أمراء كان أولهم ابن أبي بكر المسمى بمحمد وسيعقب بالقادر بن يوسف بن تاشفين وكان آخرهم محمد الباميري اللمتوني الملقب بالخليفة السادس.[25] كما نجد روايات الولوف السينغالية

تتحدث عن علاقة نسب تجمع ما بين المرابطين وبين جد الولوف. حسب هذه الروايات كان هناك أحد الدعاة المسلمين يدعى أبو درداي Abou Dardaï والذي تعرفه بشخصية أبي بكر بن عمر وتذكر أنه أول من دعا إلى الإسلام في بلاد الفوتا، وأنه وصل إلى المنطقة حوالي 1200 وتزوج من إحدى بنات الولوف وأنجب منها ولدا يدعى أحماد ويعرف أيضا باسم "نديا-ديان" Ndyadyan. وتضيف الروايات أن هذا الأخير سيؤسس فيما بعد دولة الولوف (تكرور).[26]

غير أن هذه الروايات تفرض مرة أخرى مجموعة من الملاحظات ، فمثلا تواجهنا في روايات الولوف مشكلة التأريخ للأحداث ومشكلة تحديد بعض الشخصيات المذكورة فيها. فعندما تحاول تعريف شخصية أبي درداي بشخصية أبي بكر بن عمر نجد أنه لا شيء يبرر هذا التعريف ، فمن جهة فسنة 1200م الواردة في هذه الروايات على انها السنة التي نزل فيها أبو درداي إلى بلاد الولوف غير مطابقة للفترة التي كان فيها أبو بكر بن عمر موجودا بالمنطقة والتي لا يمكن أن تتعدى سنة 1087م. ومن جهة أخرى فروايات الولوف التي لا تفرق بين أبي درداي وبين أبي بكر تقع في خلط تاريخي آخر، حيث تنسب إلى هذه الشخصية عملية إدخال الإسلام لأول مرة إلى التكرو سنة 1200م. لكن إذا ما عدنا إلى ما ورد عند البكري وجدنا أن الإسلام أصبح الدين الرسمي لهذه المملكة في وقت سابق لهذا التاريخ، حيث يرجعه المؤلف إلى النصف الأول من القرن 11م.[27] هذا الخلط يجعلنا نضع الاحتمال التالي وهو أنه مع مرور الوقت لم يعد بإمكان هذه الروايات تتبع أحداث تلك الفترة بتسلسل وضاعت منها دقة التأريخ لفترة الحضور المرابطي بالمنطقة ، وهكذا ربطت مجموعة من الأحداث الممتدة على فترة زمنية متباعدة بشخص واحد وهو أبو بكر بن عمر. فمن المحتمل في هذا السياق، أن يكون المدعو أبو درداي أو أبو بكر، الذي تحدثت عنه الروايات السينغالية والذي أدخل الإسلام إلى بلاد الولوف، هو "وارجابي" الذي قال عنه البكري أنه كان ملك "التكرور" وأنه أول من أدخل الإسلام إلى بلاده قبل سنة 1040م.[28] إن هذا الغموض الذي يحيط بهذه الروايات لا يعني أن العلاقة الجينيالوجية ما بين المرابطين والولوف كانت فقط من نسيج الخيال بل أنه كانت هناك روابط بين الطرفين لم تساعدنا الروايات لحد الآن على كشف خيوطها بشكل واضح . وفي هذا الصدد يذهب الباحث .Ba, A.R إلى أن "Ndyadyan » و الذي حسب الروايات هو مؤسس دولة الولوف والذي يدعى أيضا أحمادو يمكن أن يكون منحدرا من السلالة المرابطية ، ويعرفه "بأحمد بن محمد البامبري" الوارد ذكره في قصيدة "الشيخ محمد مبارك اللمتوني".[29] ولعل تبريره في هذا التقارب كون الشخصيتين عاشتا حسب الروايات في نفس القرن(13م).[30]

وما يمكن قوله هو أنه إذا كانت المعلومات المستنبطة من الروايات لا تسمح بتحديد الروابط العرقية بين المرابطين وبين مؤسس دولة الولوف، فرغم ذلك يمكن الجزم بأنه كان هناك ، على الأقل، تحالف قوي يجمع دولة التكرور بدولة المرابطين

وذلك ابتداء من منتصف القرن 11م.[31] فقد كانت التكرور المملكة الإسلامية الأولى بإفريقيا الغربية التي قدمت الدعم والمساعدة للمرابطين إبان جهادهم بالمنطقة.

نستخلص مما سبق أن المعلومات الواردة سواء في المصادر المكتوبة أو التي تحتفظ بها الذاكرة الإفريقية تساعد نسبيا على نسج الخطوط الكبرى للتاريخ المرابطي ببلاد السودان الغربي . وذلك لما تتضمنه من إشارات تتحدث عن بعض الأقاليم المفتوحة على إثر حركة الجهاد التي قام بها المرابطون بالمنطقة وكذلك لاهتمامهم بإبراز دور بعض الشخصيات في هذه الحركة. غير أن العديد من جوانب هذا الموضوع مازالت غامضة وتحتاج إلى مزيد من الدراسة المعمقة حتى نتمكن من إضفاء بعد آخر على تاريخ الإسلام والثقافة الإسلامية بالمنطقة بصفة عامة وعلى تاريخ العلاقات المغربية الإفريقية بصفة خاصة.

هوامش البحث:

1- ابن خلدون ، كتاب العبر ، طبعة بيروت 1956 ، ج 7 ص 378

-2J. O. Hunwick, Gao and the Almoravid, 1980, p. 420.

3-الزهري ، كتاب الجغرافية ، طبعة عربية وترجمه إلى الفرنسية محمد حاج صادق في :

Bulletin d'études orientales, Tome XXI, 1968, p.181-182.

C.F. Souad Belhoucine, Islamisation et commerce dans le Soudan occidental du VIIIème -4 siècle, Thèse de Doctorat de Lille III 1990.

5-البكري ، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، طبعة دوسلان،1965، ص 172

6-يبدو أن مملكة التكرور استطاعت أن تفرض قوة سياسية على منطقة السينغال ، وهذا ما يتضح من كلام البكري الذي يشير فيه كيف أن التكرور كانت لها القوة الكافية لكي تقدم المساعدة للمرابطين زمن يحيى بن عمر ، عندما ثارت عليه قبيلة كدالة . أنظر البكري ، 1965 ص 167 ، الإدريسي فيما بعد يعطي وصفا أكثر دقة بخصوص استقلال وقوة مملكة التكرور التي يشير أنها تقع على الحدود الغربية لغانة وأنها كانت تفرض سلطانها على مدينة سيلا ويضيف أن التكرور كان يحكمها ملك قوي وعادل وأن دولته كانت تنعم بالقوة والاستقرار .الشريف الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، بيروت 1989 ، ص 18 . ج 1 .

7-ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ...، طبعة الرباط 1973 ، ص. 135.

-8c.f. Tableau historique de cheikh sidia, trd. De P. Marty, 1921, F/ de lachpelle, Histoire du sahara occidental, 1930.

9- لم تتمكن الأبحاث ، حتى اليوم ، من وضع دراسات قارة بشأن أصل وتاريخ تواجد سكان البافور بالمنطقة، فإذا تتبعنا الروايات الموريطانية نجدها تشير أن البافور استقروا بالأدرار الموريطاني قبل البربر أنظر :

R. Mauny. " notes d'histoire et d'archéologie sur Azougi, chinguetti et ouadane " B.I.F.A.N, 1925, p. 103.

أما عن أصلهم فنجد نفس الروايات تارة تقدمهم كعنصر أبيض وتارة كعنصر أسود وأحيانا تقول بأنهم من أصل يهودي ، أنظر :

Lucas, A.J., « considérations sur l'ethnique maure … les Bafours » J.S.A. 1931.

وتشير بعض الدراسات أن عنصر البافور قد هاجر ربما من شمال إفريقيا واستقر بمنطقة الأدرار في وقت سابق للامتداد العربي والإسلامي بالمنطقة ، أنظر :

Lewicki, « l'origine nord africain de Bafour » dans actes du deuxième congrès international des cultures de la Méditerranée occidentale, 2, Alger, SNED, 1978, p. 145-153.

J.Cuoq. Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale, 1985, p. 123- -10 130-163-213-214.

11-البكري ، المصدر السابق ص 167 .

-12 B. Saison, Azugi, Archéologie et histoire en Adrar mauritanien, 1981.

-13 Tableau historique de cheikh sidia, 1921, p. 78-81-82.

14-ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص 135.

-15 Tableau historique de cheikh sidia, 1921, A. leriche, « Notes sur les classes sociales et sur quelques tribus de Mauritanie » B.F.A.N, XVII, n° 1-2, B., 1955, p. 184

-16 Amadou wade, chronique du walo sénégalais, pub. V. Monteil, 1964 , pp. 444-45,
موريس دي لافوس Maurice Delafosse ، من جهته ، يشير إلى أن أبو بكر قتل على يد أحد المرتزقة Sérère كان قد بعث من طرف كدالة الثائرين على المرابطين ، لكن هذا الطرح لا يستند إلى أي إشارة مصدرية.
M. Delafosse, Haut Sénégal-Niger, 1912, II, p. 55.

-17 Abdel Wedoud ould cheikh et B. Saison, « Vie et mort (s) d'al-Imam al-Hadrami, autour de la postérité saharienne du mouvement almoravide », Arabica, XXXIV, fax. 1, 1987, p. 52-55.

-18 Tableau Géographique de cheikh sidia, 1921, p. 84.
Lucas, A.J. « considération sur l'ethnique maure et en particulier sur une race ancienne : les Bafour », Journal de la Société des Africanistes, 1931, p. 152-62, Faris (P.F. de Moraes), « the Almoravides : some questions concerning the character movement... », B.I.F.A.N., B., XXIX, 1967, p. 853.

19- ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس . طبعة ، الرباط ، 1973 ، ص 135-136.

-20 Farias. (P.F. de Moraes), 1967, p. 849, Hazard (H.W), The Numismatic history of late medieval North-africa, New York, 1952, p/ 61-62.

-21 Ould el-Bah, les Almoravides à travers les sources orales en Mauritanie, mémoire, Université de Paris I . 1982, p. 40-50;
Ba, A.R., le Takrur des origines à la conquête par le Mali, VIème – XIIIème siècle, thèse de doctorat de 3ème cycle, Université de Paris VII- Jussieu, 1984, p. 211; ould cheikh (A.W) et Saison (B.), 1987, p. 61-62.

Riaud (J.L), Islam et société soudanaise au Moyen âge, recherches voltaïques, 1973.- 22

23- المرادي الحضرمي، الإشارة إلى أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، بيروت، 1981.

-24 Farias (P.F. de Moraes), 1967, p. 861.

-25 Norris(H.T.),Saharan myth and Saga, 1972, p. 111.

-26 Gaden (H.) Cahiers de yoro Dyao, Paris, 1912, p. 126-127 ;
Wade (A.), chronique du walo sénégalais (1186-1855), pub. Et com. Par Monteil (V.), B.I.F.A.N., XXVI, 1975

27-البكري، المصدر السابق، ص 172.

28-البكري، المصدر السابق، ص 172.

-29Norris(H.T.), Saharan myth and Saga, 1972, p. 111-112

-30Ba, A.R., le Takrur des origines à la conquête par le Mali VIème - XIIIème., Thèse de 3ème cycle, Paris VII, 1984, p. 125

31-البكري، المصدر السابق، ص 167-168.